﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [محمّد ﷺ: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد الإجمال يأتي التَّفصيل لبيانِ المصير

لمّا أخبرتِ الآيات السّابقة بتباين أحوال المؤمنين والكافرين في الدّارين، وكان قد أجمل جزاءَ كلٍّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾؛ ذكَر هنا شيئًا من تفصيل هذا الجزاء للفريقين، فهو انتقال من إجمال الجزاء، إلى ذكر تفاصيله.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَّثَلُ﴾: أصل (مثل) يدلُّ على مناظرةِ الشَّيءِ للشَّيء[1]، والمَثَلُ عبارة عن قول في شيء، يشبه قولًا في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبيِّن أحدهما الآخر، ويصوِّره، وقد يُعبَّر بهما عن وصف الشَّيء، نحو قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ﴾[2]، ومعنى قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾: صفة الجنَّة الَّتي وُعِد بها المتَّقون[3].

2) ﴿ءَاسِنٖ﴾: أصل (أسن) يدلُّ على تغيُّر الشَّيء، فَيُقالُ: أسَنَ الماءُ يَأسِنُ ويَأسُنُ؛ إذا تَغَيَّرَ، هَذا هوَ المَشهورُ، وقَد يُقالُ: أسِنَ[4]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مثل).
(2) الراغب، المفردات: (مثل).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 200.
(4) ابن فارس، المقاييس: (أسن).

ويقال منه: قد أسَن ماء هذه البئر؛ إذا تغيَّرت ريحُ مائها؛ فأنتَنَت، وكذلك يُقال للرَّجل؛ إذا أصابته ريحٌ مُنتِنة: قد أسَن، فهو يأْسِن[1]، أسَنَ الماءُ يأسِنُ أسْنًا وأُسونًا: وهوَ الَّذي لا يَشْرَبه أحدٌ من نَتنه، قالَ: وأجَنَ يأْجِنُ؛ إذا تغيَّر، غيرَ أنَّه شَروب[2]، ومعنى قوله: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾، أي: أنهارٌ من ماءٍ غير متغيِّر الرّيح[3].

3) ﴿أَمْعَآءَهُمْ﴾: الأمعاء جمعُ (مِعَى البَطْنِ)، والمِعَى: المُصران[4]، و(المِعى) مَقْصورًا بِفَتحِ الميمِ وكَسْرِها، وهو ما يَنْتَقِلُ الطَّعامُ إلَيهِ بَعدَ نُزوله مِنَ المَعِدَةِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّفصيلُ في وصف جزاء أهل الجنَّة والنّار ترسيخ للوعد والوعيد

تُبيِّن الآية الكريمة شرحًا وافيًا لأنهار الجنَّة، وشراب أهل النّار، كما اشتملت على مقارنة بين حال أهل الإيمان والتَّقوى، وما وعدوا به من مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنَّة، وبين حال أهل النّار، وهم خالدون فيها، وما وعدوا فيها من ألوان العذاب الشَّديد[6]، والمعنى: صفة الجنَّة الَّتي وعد الله المتَّقين له - بامتثال أوامره واجتناب نواهيه - أن يدخلهم فيها: فيها أنهار من ماء غير متغيِّر ريحًا ولا طعمًا لطول مُكْث، وفيها أنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، وفيها أنهار من خمر لذيذة للشّاربين، وأنهار من عسل قد صُفّي من الشَّوائب، ولهم فيها من كلِّ أنواع الثَّمرات ما يشاؤون، ولهم فوق ذلك كلِّه محو من الله لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، هل يستوي من كان هذا جزاؤه مع من هو ماكث في النّار لا يخرج

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 200.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (أسن).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 200.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (معو)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (معى).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 98.
(6) الجزائري، أيسر التفاسير: 5/ 78.

منها أبدًا، وسُقوا ماءً شديدَ الحرارة، فقطَّع أمعاء بطونهم من شدَّة حرِّه[1]!.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الاستئناف البيانيّ:

بـيـانُ أحـوال النَّعيم يحرِّض الـنُّـفـوس على انتهاج أسبابه

فُصل قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه استئنافٌ بيانيٌّ مسوق لشرح محاسن الجنَّة الموعودة آنفًا للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾؛ لأنَّ ما جرى من ذكر الجنَّة ممّا يستشرف السّامع إلى تفصيل بعض صفاتها[2]، وبيان كيفيَّة أنهارها الَّتي أشير إلى جريانها من تحتها[3].

بلاغةُ الحذف في الأسلوب:

تـبـايـن أصـول الأعـمـال مـانـعٌ من التَّساوي في الجزاء

قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ جارٍ على حذف همزة الاستفهام وحذف مضاف، وتقدير المضاف إمّا في جانب المشبَّه، أو جانب المشبَّه به، والتَّقدير: (أمثل ساكنِ الجنَّة كمثل من هو خالد في النّار)، أو جعل المضاف في جانب المشبَّه به، أي: (أمثَل الجنَّة الَّتي وعد المتَّقون كمثل جزاء من هو خالدٌ في النّار)، والتَّقدير الأوَّل أظهر؛ لأنَّ إنكار التَّسوية بين أصحاب الجنَّة وأصحاب النّار أهمُّ من إنكار التَّسوية بين جزاء أهل الجنَّة وجزاء أهل النّار، ولقرينة قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، فذكر أصحابها[4]، وقدَّر الاستفهام الإنكاريَّ في المبتدأ ﴿مَّثَلُ﴾؛ لأنَّه مرتَّبٌ على الإنكاريِّ السّابق في قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[5].

(1) المختصر في التفسير، مركز تفسير.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 94.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 95.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 21.
(5) طنطاوي، الوسيط: 13/ 230.

نكتة مجيء الجملة على صورة الإثبات:

أسلوب الخبر المثبت تصوير لعمق المكابرة في إنكار الفارق بين الجنَّة والنّار

جاء قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾... ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ على صورة الإثبات، وإن كان معناه النَّفي والإنكار[1]، ومع ذلك لم يصرِّح بالاستفهام الإنكاريِّ المقدَّر، بل جاء على أسلوب الخبر المثبت، فلم يقل: (أمثل الجنَّة كمن هو خالدٌ في النّار!)، ونكتة ذلك أنَّ حذف همزة الاستفهام الإنكاريِّ من الجملة يجعل مكابرةَ المخاطَب وتصوُّره المغلوط أشدَّ وضوحًا وأقوى تأثيرًا، وذلك لأنَّ ذِكر حرف الاستفهام المقتضي للإنكار صراحة، كأن يُقال: (أمثل الجنَّة كمثل النّار؟) قد يجعل المخاطَب مُستعِدًّا للإنكار مباشرة، فيتلقّى الجملة على أنَّها مجرَّدُ نفي منطقيٍّ.

لكن عند إزالة حرف الإنكار، تُترَك الجملة على ظاهرها؛ باعتبارِها تقريرًا للتَّسوية بين أهل الجنَّة وأهل النّار، فيكون ذلك تصويرًا أشدَّ لِقبحِ فكرةِ التَّسوية بينهما، ممّا يُبرز مدى سُخفِ من يعتقد ذلك وضلالِه، وهذا الحذف يقوم على أسلوب بلاغيٍّ يُعرف بـ (الإنكار غير الصَّريح)، حيث يُترك الحكم دون أداة إنكار؛ ليكون أبلغ في استنكار المضمون ذاتِه، ممّا يُشعر المخاطَب بمدى بطلانِ هذه التَّسوية من غير حاجة إلى التَّنبيه عليه بوضوح.

فائدة النَّعت بالاسم الموصول:

الجنَّةُ جزاءٌ مضمونٌ لا يتخلَّف، ووعد المعبود لا يتأخَّر

نعتُ لفظ ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ بالاسم الموصول، في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ جيء به توسُّلًا إلى وصف المعارفِ بالجمَل، وتنبيهًا على أنَّ ذلك الوصف هو من معهودات المخاطَب[2]، فهي معهودةٌ بدليل ذكرها في السّياق العامِّ أو القريب الخاصِّ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾،

(1) الكشاف، الزمخشري: 4/ 321.
(2) السامرائي، معاني النحو: 1/ 122.

وأفاد المدح بالاسم الموصول وصلته مدح الجنَّة وتوضيح هويَّتها بأجمع وصفٍ وأبلغ مضمون، فقد جعلها وعدًا مخصوصًا منه لعبادٍ مخصوصين، وهم المتَّقون؛ ليؤذِن بهذا المضمون أنَّ الجنَّة مُستحقَّةٌ من جهتين، من جهةِ كونها وعدًا ذاتيًّا من الله؛ فبسبب أنَّ الله وعدَ بها؛ تحقَّقت لهم، ولولا الوعد؛ ما كانت، ومن جهة كونها جزاءً على عملِهم بالتَّقوى الَّذي رشَّحهم لنيلها.

نكتة بناء فعل الوعد للمفعول:

حـذْفُ الفـاعـلِ تـأكـيـد عـلى عـظـمـة الـجـزاء وقـوَّة الضَّمانة للوعد الإلهيّ

جاء فعل الوعد في جملة الصِّلة، في قوله: ﴿ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾؛ مبنيًّا لما لم يُسمَّ فاعله، وفي إخفاء الفاعل دلالةٌ على أنَّ الأهمَّ في هذا السّياق هو استقطاب ذهن المخاطَب إلى عين الجزاء وحقيقته، فليس الغرض متعلِّقًا بإعلامه بالفاعل؛ لأنَّ فاعل الوعد لا يخفى عليه، ولا يغيب عنه، بل هو مفهومٌ من منطوق الصِّلة من لفظ ﴿ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾، أي: المتَّقون الله سبحانه، وهل اتَّقَوا إلّا هو، وهل يقع لهم جزاء الجنَّة إلّا لمن قصر تقواه على مولاه؛ لأنَّه لو اتُّقيَ مع الله أحدٌ سواه؛ لكان في عداد أهل الشِّرك الَّذي تَحرمُ الجنَّةُ به، ويظهر أنَّ سببَ الإيجاز بعدم تسمية الفاعل، هو قرب العهد به، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾، كما أنَّ وصف الجنَّة بصفاتٍ تقطعُ بأنَّه لا يقدر عليها إلّا الله هو كافٍ في نفي الإلباس في تعيين الفاعل، فلا يُحتار فيه، ولا يخفى على أحد؛ ولذلك صار مجرَّدُ ذكرها والإخبار به عنها بعدم تسمية الفاعل أهيبَ لمقامه سبحانه، وأعلى وأجلَّ في إطلاق الوعد بها وضمانتها به[1].

نكتة التَّعبير بصيغة الماضي:

وعْدُ الله بحكم المتحقِّق

في التَّعبير بفعل ﴿وُعِدَ﴾ بصيغة الماضي إشارة إلى أنَّ الوعد بالجنَّة أمر قد تحقَّق بأيسر أمرٍ، وفُرِغ منه إلى أن صار حاضرًا لا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 219.

مانع منه إلّا الوصف الَّذي عُلِّق به الوعد، وهو التَّقوى، ولمّا كان وعدُ الله نافذًا؛ كانت الجنَّة متحقِّقة الدُّخول من قبل المؤمنين المتَّقين.

توجيه تخصيص المتَّقين بالذِّكر:

التَّقوى هي جوهر الإيمان وسرُّ بقائه

آثر النَّظم الكريم استعمال لفظ التَّقوى، في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، دون أن يوصَف أهل الجنَّة بوصف آخر كالإيمان وغيره من الصِّفات، وذلك أنَّ التَّقوى جوهر الإيمان، والإيمان الَّذي لا تقوى فيه يضعف مع الأيّام، فلا يثبت، فإنَّ التَّقوى هي دسار خشب الإيمان، فمن فقد الدِّسار؛ فقد تحلَّل خشبه وزالت روابطه.

علَّة فصل جملة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾:

أبينُ صفات الجنَّة وأشهاها للقلوب الأنهار الجارية

يحتمل جملة ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ أن تكون استئنافًا بيانيًّا، يُفسِّر الصِّفة العجيبة للجنَّة في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾، كأنَّ سائلًا سأل: (ما مَثَلُها؟)، فأُجيب: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾، وتحتمل أن تكون الجملة داخلة في حيِّز الصِّلة كالتَّكرار لها، كأنَّه قيل: (الَّتي وعد المتَّقون، والَّتي فيها أنهار من ماء غير آسن)، وتحتمل أن تكون جملة حاليَّة، أي: الَّتي وُعِدها المتَّقون على تلك الحال وتلك الهيئة، من تنوُّع أنهارها (أنهار ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل)، بعدما أخبر بجريان الأنهار من تحتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فكأنَّه قال هنا: ليست هذه الأنهار على هيئة واحدة، بل كيفيّاتها متنوِّعة، فليست أنهار ماءٍ فقط، كما يمكن أن يتبادر للذِّهن، بل هي أنهار ماء وأنهار لبن، واعتبارها جملة حاليَّة يفيد وجود هذه الأنهار فيها حالَ وُعِدَ المتَّقون بها، فالوعد بالجنَّة حاصلٌ، وهي تلك الحال، فهذه الحال المذكورة بأنَّ ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾ موعودٌ بها كذلك، فهي ضمن الوعد وجزء أصيلٌ منه[1].

(1) الكشاف، الزمخشري: 4/ 321.

نكتة استعمال حرف الظَّرفيَّة:

أنهار الجنَّة منتشرةٌ بأنواعها الكثيرة في كلّ أرجائها

استُعمِل حرف الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾؛ للدَّلالة على الشُّمول، وتشبيه الجنَّة بالظَّرف والأنهار بالمظروف توكيدٌ لمعنى الشمول، وأنَّ الأنهار جزء أصيل من الجنَّة، فأينما يمَّم أهل الجنَّة وجوهَهم؛ وجدوا من تلك الأنهار بأنواعها وأصنافها ما تشرئبُّ له الأعناق، وتلذُّ له الأنفس.

نوعُ (مِنْ) ودلالتُها:

حرفُ (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾، وقوله: ﴿مِّن لَّبَنٍ﴾، وقوله: ﴿مِّنْ عَسَلٍ﴾، وقوله: ﴿مِّنْ خَمْرٍ﴾ للبيانِ، فهي تبيِّن جنسَ الشَّراب ومادَّته، الَّذي حوته تلك الأنهار.

بلاغة استعمال مفردة ﴿ءَاسِنٍ﴾:

التَّعريض بمياه الدُّنيا وأنهارها المتغيرة للفساد

آثر النَّظم الكريم استعمال مفردة ﴿ءَاسِنٍ﴾، دون أن يقول: (متغيِّر)، في قوله تعالى: ﴿مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾؛ لأنَّ ﴿ءَاسِنٍ﴾ مأخوذ من الأسْن، وهو التَّغيُّر إلى النَّتن والفساد؛ بسبب ركود الماء وعدم تجدُّده[1]، وأمّا (متغيِّر)؛ فلفظ عامٌّ يشمل أيَّ تغيُّر، سواء كان إلى فساد أو إلى صفة أخرى لا تستلزم الفساد، فالأسْنُ هو التَّغيُّر المذموم الَّذي يجعل الماء غير صالح للشُّرب، أمّا التَّغيُّر في ذاته؛ فقد يكون محمودًا، مثل الماء البارد أو الدّافئ أو العذْب أو المعدنيِّ، وكلُّها أمواه متغيِّرة الصِّفات، لكنَّها غير فاسدة، فجاء التَّعبير ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾؛ ليشير إلى أنَّ ماء الجنَّة لا يعتريه الفساد أو النَّتن أبدًا، بل هو دائم الصَّفاء والنَّقاء، بخلاف مياه الدُّنيا الَّتي تفسد بمرور الزَّمن؛ إذا لم تتجدَّد؛ فالتَّعبير بلفظ ﴿ءَاسِنٍ﴾ تعريضٌ بمياه الدُّنيا وأنهارها.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 200، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (أسن).

بلاغة وصف الماء بأنَّه ﴿غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ لا الأنهار:

ماءُ الأنهارِ لا يأسن وإن توقَّف عن الجريان

وصف الله ﷻ الأنهار، بأنَّها جارية، ومعلومٌ أنَّ الماء الجاري لا يأسَن، فما فائدة وصف ماء الأنهار في قوله تعالى: ﴿أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾، بأنَّه ﴿غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾؟ والجواب: أنَّ الماء الجاري وإن كان لا يأسن، لكن إذا أُخِذَ منه شيءٌ، وطال مُكثه؛ أسِن، وماء الجنَّة لا يعرِض له ذلك، ولو طال مكثه ما طال[1]، فكان قوله: ﴿غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ نافيًا للوجود والإمكان، أي: لا يوجَد، ولا يطرأ على الماء أُسون بسبب جريانه، وحتّى لو أُخِذَ منه، ونُقِل إلى خارج النَّهر، وزالت عنه صفة الجريان، فلا يمكن كذلك أن يأسن، ويتغيَّر في تلك الحال؛ ولذلك جاء الوصف للماء لا للأنهار، فالأنهار جاريةٌ، وماؤها قد يتوقَّف عن الجريان، فإن توقَّف؛ فهو غير آسن.

جريان أنهار اللَّبن بين التَّشبيه البليغ والحقيقة:

حملُ الأخبارِ الغيبيَّةِ على الحقيقةِ هو الأنسبُ في الأذهان، وهو ما يُقوّيه السّياق

يرى بعض المفسِّرين أنَّ إطلاق الأنهار على أنهار الماء حقيقة، وأمّا إطلاق الأنهار على ما هو من لبن وخمر وعسل؛ فذلك على طريقة التَّشبيه البليغ، أي: مماثلة للأنهار، فهو تشبيه بليغ بالمماثلة التّامَّة؛ إذا اعتبرنا أنَّ هذه الأنهار تجري فعلًا في أخاديد، كما تجري الأنهار، أي: إنَّ حقيقتها ليست كأوانٍ ممتلئة، بل هي جاريةٌ مستبحرةٌ بلا توقف، فصار العسل واللَّبن والخمر مذكورة، وكأنَّها أنهار بنفسها، أو تشبيه بليغ بالمماثلة الجزئيَّة؛ إذا أخذنا أنَّ هذه السَّوائل مماثلة للأنهار في بعض صفاتها فقط، كالغزارة والتَّدفُّق المستمرِّ، ولكن ليس بالضَّرورة أن تكون في صورة جريانٍ كنهر الماء تمامًا[2].

والأولى من هذا حمل الكلام على حقيقته، وافتراض التَّشبيه

(1) ابن القيم، حادي الأرواح: 1/ 378.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 96.

البليغ الخالي من الأداة ووجه الشَّبه في أمرٍ غيبيٍّ يُعوزه الدَّليل، فإنَّ الأصل في مثل هذه الأخبار الحقيقة، وعدم قياسِها على عالم الشَّهادة، وما يتناسب مع السّياق الدّالِّ على عظمة الجنّات هو الحقيقة لا المجاز، لكنَّها حقيقةٌ لا نعلم تفاصيلها على وجه التَّحديد، وإنَّما نُثبتها كما ثبتت في الذِّكر الحكيم، وما كان هذا حاله، فإثبات المجاز له بعيد وغير مقبول؛ لأنَّ المجاز يعني ادِّعاء معرفة التَّفاصيل، وأنّى ذلك يكون؟.

بلاغة النَّظم بين التَّمثيل والتَّحقيق:

أوصاف النَّعيم الغيبيّ محمولٌ على التَّحقيق عند أهل التَّحقيق

يرى بعض المفسِّرين أنَّ قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾، تمثيل لما يقوم مقام الأشربة في الجنَّة بأنواع ما يستلذُّ منها في الدُّنيا بالتَّجريد عمّا ينقصها، وينغِّصها، والتَّوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها[1]، والصَّحيح أنَّها محمولةٌ على التَّحقيق، فهي كما وصفها ﷺ، أنهارٌ تجري بهذه الأشربة، وبهذه المواصفات العالية، الَّتي لا يعرفها النّاس في الدُّنيا، وسيعرفونها تحقيقًا لا تمثيلًا.

نكتة التَّقييد بعدم تغيُّر طعم اللَّبن:

التَّعريضُ بلبن الدُّنيا حيث يُصيبُه الفسادُ

جاء تقييد ذكر أنهار اللَّبن بأنَّه ﴿لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾؛ دلالة على الكمال المطلق لنعيم الجنَّة؛ إذ لا يفقد النَّعيم خصائصه بمرور الزَّمن، وهذا تعريضٌ بلبن الدُّنيا؛ إذ يُصيبه التَّغيير في الطَّعم، والفساد في المذاق، ففي الدُّنيا، التَّغيير أمرٌ حتميٌّ غير اختياريٍّ، فالماء يأسن، واللَّبن يتخثَّر، والأطعمة تفسد، أمّا في الجنَّة؛ فإنَّ كلَّ شيء يبقى على حالته المثاليَّة، ولا يتحوَّل إلى حالةٍ غير محبوبة.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 121.

نكتة تخصيص التَّغيُّر بالطَّعم دون غيره:

التَّنبيه بالأدنى على الأعلى، فهو كنايةٌ عن بقاء النَّقاء في كلِّ الصِّفات

خصَّ تغيُّر اللَّبن بالطَّعم دون غيره، في قوله تعالى: ﴿لَّبَنٍ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾؛ لأنَّ تغيُّر الطَّعم هو أوَّل ما يدلُّ على فساد اللَّبن، حتَّى لو لم يتغيَّر لونه أو رائحته، وهو أقلُّ درجات التَّغيُّر، كما أنَّ تغيُّر الطَّعم مقدِّمة لتغيُّر بقيَّة الصِّفات، فجاء التَّقييد بالطَّعم؛ للدَّلالة على أنَّ اللَّبن باقٍ في أعلى درجات الجودة؛ لأنَّ الطَّعم هو أوَّل ما يدركه الإنسان عند تناوله، وأيضًا: استلزام التَّقييد بالطَّعم لسلامة اللَّون والرّائحة كذلك، فتغيُّر الطَّعم غالبًا يكون مصحوبًا بتغيُّر اللَّون أو الرّائحة، فإذا كان الطَّعم محفوظًا؛ دلَّ ذلك ضمنًا على أنَّ اللَّبن باقٍ نقيًّا في جميع أوصافه الأخرى، فذِكرُ تغيُّر الطَّعم إيجازٌ بليغ يفيد كمال اللَّبن واستمراره على أفضل حال، وفيه تنبيهٌ على الأعلى بالأدنى، فعدم تغيُّر الطَّعم، يدلُّ على كمال صفاته.

دلالة التَّعبير بنفي المضارع:

لبنُ الجنَّةِ على أصلِه باقٍ وعلى طعمه ثابت

جاء نفي المضارع في قوله تعالى: ﴿لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾؛ لبيان أنَّ هذا الوصف، وهو عدم تغيُّر الطَّعم ممّا مضى أمره، وأصبح صفةً لازمةً متحقِّقة للبن، فهو على أصله مُذْ وجِد، كأنَّه قيل: لم يكن عُرضةً للتَّغيُّر، وأنَّ الشّارب يستحضر ذلك عند شرب اللَّبن، فهو وصفٌ للبنٍ مشروبٍ عند أهل الجنَّة، وهذا فيه استحضارٌ لطعم اللَّبن الصّافي من أيِّ منغِّصات فضلًا عن الفساد.

سِرُّ ترتيب ذكر المشروبات:

الماء أصل المشروبات فالأقرب للفطرة فمصدر اللَّذَّة فأصل الشِّفاء

جاء ترتيب المشروبات في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾، فبُدِئَ بذكرِ أنهار الماء، فهو الأصل الَّذي لا يُستغنى عنه في المشروبات، وهو أشهر المشروبات عند البشر، ثُمَّ باللَّبن؛ لجريانه مجرى الطُّعوم في كثيرٍ من أقوات العرب وغيرهم،

ثُمّ بالخمر؛ لأنَّه إذا حصل الرَّيُّ والمطعوم تشوَّفتِ النَّفس إلى ما تلتذُّ به، ثُمَّ بالعسل؛ لأنَّ فيه الشِّفاء في الدُّنيا ممّا يَعرِض من المشروب والمطعوم[1].

وأصل هذه الثَّلاثة الماء، ولذلك بدأ به؛ لأنَّ الماء أصل النَّبات، ومن النَّبات يكون اللَّبن والخمر والعسل، من خلال الوسائط، فالحيوان المحلوب يأتي لبنه من تغَذّيِه على النَّبات، والخمر مصدره النَّبات كالشَّعير والتَّمر والزَّبيب والعنب، والعسل مصدره النَّبات؛ إذ يتغذّى النَّحل على رحيقه[2].

وبهذا يُفهَم للتَّرتيب سرٌّ آخر، وهو أنَّه تعالى قدَّم الماء؛ لأنَّه الأصل لها، وثنّى بأقرب الأشياء إليه في الشَّرابيَّة والطَّبع: اللَّبن، وثلَّث بما هو أقرب إلى اللَّبن من جهة أنَّه شراب فقط، وختم بالعسل؛ لأنَّه برغم شرابيَّته إلّا أنَّه يُتناوَل كالأطعمة، ولذا ذكر بعده المطعوم، وهو الثِّمار في قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[3].

نكتة تقييد المشروبات بما قُيّدت به:

التَّعريض بمشروبات الدُّنيا، فالآفات المذكورة هي أقلُّ آفات المشروبات في الدُّنيا

تخصيص كلِّ قيدٍ بموقعه في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾، بجعل الآسن للماء، وتغيُّر الطَّعم للَّبن، ولذَّة الشّاربين للخمر، والتَّصفية للعسل؛ لأنَّ الله سبحانه ذكر هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كلٍّ واحد منها الآفةَ الَّتي تعرِضُ له في الدُّنيا، وتؤدّي إلى نقصه، فآفة الماء أن يأسَن، ويأجُن، فيتحوَّل بطول المكث والرُّكود أو التَّلوُّث إلى عدم صلاحيَّته، وآفة اللَّبن أن يتغيَّر طعمه، فيصير حامضًا ولاذِعًا، وآفة الخمر كراهةُ مذاقِها

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 467.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 223.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 223.

المنافي لحصول اللَّذَّة منها، وآفة العسل عدم تصفيته[1]، فغالبًا يشوبه أجزاء من الشَّمع ومن النَّحل الَّذي يموت فيه كثيرًا[2]، وهذه الآفات المذكورة هي أقلُّ آفات المشروبات في الدُّنيا، وبه يتحقَّق التَّعريض بمشروبات الدُّنيا، فالماءُ يُتوهَّم فيه التَّغيُّر بالأسون وعدم الصَّلاحيَّة؛ فنفاه عنه، واللَّبن لمّا كان معتبرًا فيه أصالةُ الطَّعم، وكان في الدُّنيا كثيرًا ما يفسد، ويحمض، فتتغيَّر طُعومه؛ نفى هذا عنه في الآخرة، وقيَّد الخمر بلذَّةٍ للشّاربين دون التَّغيُّر؛ لدفع توهُّم أنَّها مثل خمور الدُّنيا[3].

توجيه تخصيص هذه المشروبات بالذِّكر:

أفضل المشروبات وأشهاها لأهل الدُّنيا المذكورة في الآية

اجتماع هذه الأنواع من أنهار المشروبات في قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾؛ لأنَّها هي أفضل أشربة النّاس، فالماء لشربهم وطهورهم، واللَّبن لِقوَّتِهم وغذائهم، والخمر لِلَذَّتِهم وسرورهم، والعسل لشفائهم ومنفعتهم[4].

نكتة تقييد الخمر بكونه ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ دون الماء واللَّبن:

خمر الجنَّة تجسيدٌ للذَّة الرّوح الطيّبة، وخمر الدُّنيا للأرواح العاطِبة المأزومة

جاء تقييد شربِ الخمر بكونه ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، ولم يقل في شأن اللَّبن: (للطّاعمين)، ولا في العسل: (مُصفًّى للنّاظرين)؛ فيُسأل عن ذلك؛ والجواب أنَّ اللَّذَّة تختلف باختلاف الأشخاص؛ فرُبَّ طعام يلتذُّ به شخص، ويَعافُه الآخر، فقال: لذَّة للشّاربين بأسرهم، فهو مُتَّفَقٌ على لَذاذتِه، بخلاف خمر الدُّنيا، فقد يستسيغه معكوس الطَّبع من كثرةِ الإلف والإدمان، ولأنَّ الخمر كريهة الطَّعم في الدُّنيا، فالتَّقييد بكونه ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ تعريضٌ بشأن خمر الدُّنيا،

(1) ابن القيم، حادي الأرواح: 1/ 376.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 47.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 24.
(4) ابن القيم، حادي الأرواح: 1/ 378.

بإثبات أنَّها على ضدِّها، فليس منها إلّا الاسم، لا المسمّى، ولذلك ذكر بالقيد الحاسم، فقال: ﴿لَّذَّةٍ﴾، أي: لا يكون في خمر الآخرة كراهة الطَّعم، وأمّا الطَّعم واللَّون؛ فلا يختلفان باختلاف النّاس؛ فإنَّ الحلو والحامض وغيرهما يدركه كلُّ أحدٍ كذلك، لكنَّه قد يعافه بعضُ النّاس، ويلتذُّ به البعض، مع اتِّفاقهم على أنَّ له طعمًا واحدًا، وكذلك اللَّون، فلم يكن إلى التَّصريح بالتَّعميم حاجة، ولذلك لم يقل: (للطّاعمين)؛ لكون الطَّعم ممّا لا يُختَلفُ عليه[1].

نوع الواو وفائدتها:

عطف قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، على قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾؛ لأنَّه ذِكرٌ للمأكول بعد ذكر المشروب، وجاء المعطوف عليه جمعًا لأنواع الثَّمرات، كما جاء جمع المشروبات بعد ذِكر جمع الأنهار، وهو من حسن المناسبة في جمع المأكول للمشروب.

بعد انسياب ذكر المشروب ينساب ذكر المأكول

نكتة تقديم المشروب على المأكول:

قُدِّم ذِكرُ المشروبات من أنواع الأنهار على المأكول؛ وذلك لموقِعِ المشروبات في البيان والتَّفصيل لأنواع الأنهار بعد إجمالها في قوله: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فذِكر المشروبات يزيد عن كونه مجرَّدَ ضيافةٍ وإكرام، ويتَّسع إلى كونه من طُرُزِ النَّعيم الأصيلة في الجنَّة لجريانها كما تجري الأنهار، فهي أوسع من المأكول، فاستحقَّت التَّقديم، ونظيرها قوله تعالى: ﴿۞مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: 35]، فقدَّمَ الأنهار المشتملة على أنهار سائغ المشروبات، على الأُكُلِ والطَّعام[2].

الأنهار قبل الثَّمرات يدلُّ على أنَّ هِبةَ الجنَّة تبدأ بالتَّدفُّق

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 47.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 47.

نوع اللّام ودلالتها الإيمائيَّة التَّعريضيَّة:

ثمرات الجنَّة طيِّبةٌ مرغوبةٌ لأهلها

اللّام في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للاستحقاق، وفيها إيماءٌ إلى أنَّ كلَّ الثَّمرات طيِّبة مرغوبة لأهل الجنَّة، كأنهار اللَّبن والخمر والعسل، لا كدر ففيها تعريضٌ بثمرات الدُّنيا؛ لأنَّ استحقاقَ كلِّ الثَّمراتِ، يلزم عنه التَّلذُّذ والاستمتاع بها.

نوع ﴿مِن﴾ ودلالتها:

جميع الثَّمرات الممكنة كائنةٌ في الجنَّة لأهلها

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ تحتمل أن تكون تبعيضيَّة على معنى: لهم في الجنة بعضٌ من كلِّ نوعٍ من الثَّمرات، أي: إنَّ الله تعالى منحهم أصنافًا متنوِّعة من كل نوع[1]، وتحتمل أن تكون بيانيَّة، أي: لهم فيها أجناسٌ وأصنافٌ هي كلُّ الثَّمرات بلا استثناء، ويحتمل أن تكون لتوكيد الإحاطة والشُّمول في ﴿كُلِّ﴾، كأنَّه قال: (لهم فيها كلُّ الثَّمراتِ على أكمل وجْه)[2].

نكتة إضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى لفظ ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾:

ثمرات الجنَّة تشملُ ما علمه المخاطَبون وما غاب عنهم

﴿كُلِّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مستعملةٌ في حقيقتها، وهي الإحاطة وشمول الأفراد، أي: جميع ما خلق الله من الثَّمرات ممّا علِموه في الدُّنيا، وما لم يعلموه ممّا خلقه الله للجنَّة، وتعريف لفظ ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للجنس[3]؛ لاستغراق جميع أفراد الثَّمرات الَّتي في الجنّات.

توجيه تخصيص الثَّمرات بالذِّكر:

الثَّمرات في الجنَّة مِثالٌ للطَّعام الَّذي يُطعَم للمتعة لا للقوت

خصَّ النَّظم الكريم الثَّمرات من سائر المطعومات بالذِّكرِ، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ لأنَّ أكل الجنَّة يُطعَم لتحصيل اللَّذَّة، لا للقوت والحاجة، حتّى الخبز واللَّحم هنالك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 97.
(2) الخطيب وآخرون، التفصيل في الإعراب: 26/ 121.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 97.

يؤكل للتَّفكُّه والالتذاذ، فاختار النَّظم أكثر ما يعبِّر عن ذلك من المطعومات، وهي الثَّمرات؛ لتكون كالمثال الَّذي يُقاس عليه غيره من أنواع الطُّعوم، وإنَّما اختار ذلك المثال؛ لكونه موصوفًا بذلك في أحوال الدُّنيا كذلك، بخلاف اللَّحم وغيره، فلم يَبْنِ عليه المَثَلَ هنا، وذلك لأنَّ الآية كلَّها تمثيلٌ بأسماء ما عهدوه في الدُّنيا، تقريبًا لهم وتفهيمًا، مع المفاضلة في حقائق المسمّيات، ولذلك افتتح بما يفيد ذلك، فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾، فعُلِم أنَّ ما سيأتي أصولٌ في أبوابها يُضرَبُ بها المَثَلُ على فروعها من صنوفٍ سواها.

نوع الواو ودلالتها:

تنوُّع الاحتمالات ثـراء في المعنى وسـداد في الدَّلالة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ فيها وجهان، أحدُهما: أنَّه عطفٌ على مقدر، أي: لهم فيها زوجان من كلِّ الثمرات، أي: ولهم مغفرةٌ؛ لأنَّ المغفرةَ تكون قبلَ دخولِ الجنَّة، وإذا كانت المغفرة بعد ذلك، فلا بُدَّ مِن حَذْفِ مضافٍ حينئذٍ، أي: ونعيمُ مغفرةٍ؛ لأنَّه ناشئٌ عن المغفرةِ، وهو في الجنَّة. والثّاني: أن يُجْعَلَ خبرُها مقدَّرًا، أي: ولهم مغفرةٌ، والجملةُ مستأنفةٌ، والفرقُ بين الوجهَيْنِ: أنَّ الوجهَ الأوَّل فيه الإخبارُ بقوله: (لهم) الملفوظ به عن سَنَنِ ذلك المحذوف، و(مغفرةٌ)، وفي الوجه الآخر الخبر جارٌّ آخرُ، حُذِفَ للدَّلالةِ عليه[1].

موقع جملة: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾:

وجـود النَّعيم الأبـديّ يُثبِت حتميَّة العذاب الأبديّ

سبق بيان موقع هذه الجملة عند قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾، بجعلها خبرًا عنها، وتقدير الاستفهام الإنكاريِّ فيها، أي: (أمثل مَن هو في الجنَّة كحال مَنْ هو خالدٌ في النّار)، ويصحُّ أنْ تكون جملة: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ﴾ كلام مستأنف مقدَّر فيه استفهام إنكاريٌّ دلَّ عليه ما سبق من قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾، والتَّقدير: أكمن هو خالد في النّار، والإنكار متسلِّط على التَّشبيه

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 694.

الَّذي هو بمعنى التَّسوية[1]، أو الجملة خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أمَّن هو خالد في هذه الجنَّة حسبما جرى به الوعد، كمن هو خالد في النّار، كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾[2]، وهذا الوجه شبيهٌ بالوجه الأوَّل، غير أنَّه جرى على حذف المبتدأ، وتقديره من السّياق، ففيه استطرادٌ عنه، فالأوَّل أظهر.

نوعُ الواو ودلالتها:

سُقيا أهل النّار حميمٌ مميت، وسقيا أهل الجنَّة شرابٌ ونعيم

جملة ﴿وَسُقُواْ﴾ معطوفة على جملة الصِّلة، في قوله: ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ﴾، أو حاليَّة بتقدير (قد)[3]، والجملة في موقع المقابلة مع جزاء أهل الجنَّة، كأنَّه قيل: هذا شرابُ أهل الجنَّة من سُقيا الأنهار الجارية، وشراب أهل النّار سُقيا من حميم.

بلاغة استعمال مفردة السِّقاية:

استعمل النَّظم الكريم مفردة (سقوا)؛ للتَّهكُّم بأهل النّار، فإنَّ السِّقاية تكون في الدُّنيا للإرواء، لكنَّها استُعمِلت هنا للتَّعذيب، وبيان أثرها في الأمعاء.

بلاغة استعمال مفردة (سقوا) مبنيَّة للمفعول:

سياق التَّرهيب يُناسبه تراكيب التَّهويل

آثر النَّظم الكريم بناء فعل (سقوا)؛ للمفعول لتوجيه الأنظار نحو فعل السِّقاية لا الفاعل، فالآمر بذلك الله ربُّ العالمين، فكلُّ شيءٍ لا يكون إلا بأمره، والفاعل الحقيقيُّ هم الملائكة، ولمّا كان السّياق في التَّرهيب؛ ناسب بناء الفعل للمفعول؛ لبيان سطوته وهوله وشديد أمره.

نوع الفاء ودلالتها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ للعطف، فبمجرَّد أن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 95.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 96.
(3) صافي، الجدول: 13/ 220.

يُسقوا الماء الحميم، فيدخل أجوافهم، فيقطع أمعاءهم، وفاعل التَّقطيع عائد للماء الحميم، والفاء دالَّة على سرعة الحدث.

بلاغة المقابلة في ذكر الأشربة:

أشـربـة أهـل الجنَّة مرغوبٌ فيها وسقيا أهل الـنّـار مـرغـوبٌ عنها

قوله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾ يقابل شراب المؤمنين من الأنهار في قوله: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾، وجاء ذكر السِّقاية؛ لبيانِ أنَّهم يتجرَّعونها جبرًا عنهم، فإنَّ الحميم لا يُشرب ابتداءً، ويُرغب عنه لا فيه، فكان ذكر ﴿وَسُقُواْ﴾؛ لبيان هذا الأمر، بخلاف أنهار الجنَّة، فهي أنهارٌ مرغوبٌ فيها، فكان ذكرها على الخبر هو الأنسب؛ لأنَّها جاءت في سياق التَّعريض بمشروبات الدُّنيا، فهي أنهار في الجنَّة يرغبها أهل الجنَّة، فيأتونها، وأمّا الحميم؛ فيُسقاه أهل النّار.

نكتة المخالفة بين الضَّمائر إفرادًا وجمعًا:

الخلود واحد في الـنّـار، والسُّقيا متعدِّدة بحسب الأعمال

في قوله: ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمَا﴾، أفرد الضَّمير أوَّلًا في قوله: ﴿هُوَ خَٰلِدٞ﴾؛ مراعاةً للفظ (مَنْ)، وجمعه ثانيًا في قوله: ﴿وَسُقُواْ﴾؛ مراعاةً لمعناها؛ إذ هي تفيد العموم[1]، ونكتة ذلك: أنَّ الخلود يعمُّ من فيها على حدٍّ سواء، فمن كُتِب عليه الخلود فيها، فالخلود لا يتفاوت، ولا يتباين، وأمّا سِقايةُ الحميم؛ فلكلِّ واحدٍ سَقْيُه الخاصُّ به، فيختلف في الكيف والكمِّ بحسب عمل كلِّ شخص، فظهر التَّعدُّد، فحُمِل على المعنى[2].

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 695.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 224.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"